

أهمية القرآن الكريم في بقاء اللغة العربية وانتشارها

The importance of the Holy Quran in the survival and spread of the Arabic language

د. المصطفى السماحي*

جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس- سايس، المغرب، moustafa-2006@hotmail.fr

تاريخ القبول: 2020/04/08

تاريخ الاستلام: 2020/02/10

ملخص:

لقد كان لنزول القرآن الكريم عظيم الأثر على اللغة العربية، وتوطيد أركانها، وبسط نفوذها، وتهذيبها وتعبيد علومها، ولولاه لم تصل إلى ما وصلت إليه من التطور والانتشار، ذلك أن الله تعالى شاء أن تكون آخر الرسالات السماوية بلسان عربي مبين، فصار لهذه اللغة شأن عظيم، ويأتي هذا البحث ليكشف لنا كيف ساهم القرآن في حفظ هذا اللغة وانتشارها. الكلمات المفتاحية: القرآن؛ اللغة؛ العربي؛ البقا؛ الانتشار.

Abstract:

The revelation of the Noble Qur'an had a great impact on the Arabic language, consolidating its pillars, extending its influence, refining it and restricting its sciences. Without it, it would not have reached the level of development and spread, because Allah Almighty wanted that the last heavenly messages be with a clear Arab tongue, so this language became an issue Great, and this research comes to reveal to us how the Qur'an helped to preserve and spread this language.

Keywords: The Qur'an; Language; Arabic; Surviva; Spread.

* المؤلف المرسل

الحمد لله رب العالمين، خالق الألسن واللغات، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أفصح الخلق لسانا وأكملهم بيانا، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنه مما لاشك فيه أن نزول القرآن الكريم كان له عظيم الأثر على اللغة العربية، وتوطيد أركانها، وبسط نفوذها، وتهذيبها وتقعيد علومها، ولولاه لم تصل إلى ما وصلت إليه من التطور والانتشار، ذلك أنها كانت قبل مجيء الإسلام محصورة في الجزيرة العربية، وكانت عبارة عن لهجات متعددة ومتشعبة، ثم شاءت مشيئة الله تعالى أن تكون آخر الرسالات السماوية بلسان عربي مبين، فصار لهذه اللغة شأن عظيم.

ترى ما أهم ما أحدثه القرآن الكريم في اللغة العربية من آثار؟، هل كان هو السبب في صمودها وبقائها إلى هذا الأمد الطويل حتى صارت أقدم لغة في التاريخ، في الوقت الذي ماتت لغات أخرى واندثرت وبقيت أثرا بعد عين؟، وهل كان هو من وراء انتشارها في العالم وإقبال الناس على تعلمها؟، وما الدافع وراء هذا الإقبال عليها؟ وهل للقرآن بالفعل دور في انفتاحها على باقي اللغات والتأثير فيها، والتأثر بها؟ ولماذا أصبح البعض من أبناء جلدتنا اليوم يشكك في صلاحيتها ومواكبتها للعلم، وأصبح يتساءل إن كانت تصلح أن تكون لغة للعلوم أم لا؟ وهل هي بالفعل لغة علم ومعرفة؟ وما أهم التحديات التي تواجهها اليوم إن أرادت أن تعيد عزتها ومجدها؟ وكيف استطاعت أن تتجاوز المحن والابتلاءات التي مرت بها الأمة في تاريخها؟.

بغية تجلية وتمثل التصورات الواردة أعلاه والإجابة عن التساؤلات والإشكالات المثارة، ولعرض هذا الموضوع في قالب علمي ومنهجي رصين ارتأيت أن أقسمه بعد هذه المقدمة إلى مبحثين وخاتمة:

أتناول في المبحث الأول: مساهمة القرآن الكريم في بقاء اللغة العربية وحفظها.
وفي المبحث الثاني: مساهمة القرآن الكريم في انتشار اللغة العربية وعولمتها.
وقسمت كل مبحث إلى أربعة مطالب، لأختتم بأهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مساهمة القرآن الكريم في بقاء اللغة العربية وحفظها:
المطلب الأول: حفظ اللغة العربية من حفظ القرآن الكريم:

لقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:9]، ومن ثم يسر الله سبل هذا الحفظ حيث جمع القرآن الكريم مباشرة بعد انقطاع الوحي، فبعد وفاة رسول الله ﷺ جمع أبو بكر القرآن في مصحف واحد ووزعه على الأمصار، هذا فضلا عن حفظه في صدور الرجال، فجمع بين حفظ الصدور وحفظ السطور، ثم تناقلته الأجيال بالتواتر.

ولما كان القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين كما تشهد لذلك وتؤكد الآيات الكثيرة مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:2]، وقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء:192-195]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل:103]، فإن هذا شاهد على ارتباط القرآن الكريم باللغة العربية، وتبعية لها في الحفظ والصيانة، وبقائها ببقائه، ومن ثم يسر الله تعالى رجالا أفذاذا لحفظ اللغة العربية والعناية بها وبقواعدها وعلومها، حفظا للقرآن وصيانة له، من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، يقول الثعالبي، متحدثا عن فضل اللغة العربية: "ولما شرفها الله تعالى عز اسمه وعظّمها ورفع خطرهما وكرمها وأوحى بها إلى خير خلقه، وجعل لسان أمينه على وحيه وخلفائه في أرضه وأراد بقضائها ودوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخيار عباده، وفي تلك الأجلة لساكني جنانه ودار ثوابه، قيّض لها حفظةً وخرنئةً من خواصه من خيار الناس وأعيان الفضل وأنجم الأرض"¹.

فعناية هؤلاء الرجال باللغة العربية لم يكن لسواد عينها أو شهرتها، إذ لم يكن يتحدث بها سوى فئة قليلة على هامش الحضارات الكبرى وقتئذ (الفرس والروم)، وإنما كانت العناية بها لأنها لغة القرآن، ومفتاح فهمه، ولذلك صرّفت الهمم إليها تعليما وتعلّما، قال أبو حاتم: "وأقبلت الأمم كلّها إلى العربيّة يتعلّمونها رغبةً فيها، وحرصا عليها، ومحبةً لها وفضلا

¹ فقه اللغة وسر العربية لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبي منصور الثعالبي (ت. 429هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ - 2002م، ص. 15.

أبانه الله فيها للناس، ليبين لهم فضل محمد ﷺ على سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وتثبت نبوته عندهم، وتؤكد الحجة عليهم، وليظهر دين الإسلام على كل دين؛ تصديقا لقوله عز وجل حيث يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ. وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33]، ولو ذهبنا نصيف اللغات كلها عجزنا عن تناول ما لم يُعطه أحدٌ قبلنا، ولكننا نذكر من ذلك على قدر المعرفة، ومقدار الطاقة، ونتكلم بما علمنا منه محبةً لإيراد فضل لغة العرب؛ إذ كان فيه إظهار فضيلة الإسلام على سائر الملل، وإبراز فضل محمد ﷺ على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وإن كان ذلك ظاهراً بنعمة الله، بارزاً بحمد الله؛ لأن دين الإسلام عربي، والقرآن عربي، وبيان الشرائع والأحكام والفرائض والسنن بالعربية¹، حتى قال عنها ابن فارس إنها توقيف من عند رب العالمين في ألفاظها، وأصواتها، وأبنيتها، وتراكيبها، وأساليب بيانها، بل كتابتها وخطها، وعلومها من إعراب، وعروض².

إن اعتبار اللغة العربية جزءاً من الدين، والتفقه فيها تفقها في الدين، جعلها حية خالدة في قلوب المسلمين فلا تموت ولا تهرم، ولا يلحقها ما لحق غيرها من الاندثار والتلاشي. فكم من لغة اندثرت ولم يعد لها وجود إلا في التاريخ، دفنت بموت أهلها أو ضعفت وضمحلّت، فأين اللغة الفينيقية (لغة أهل لبنان قديماً)؟ وأين اللغة الهيروغليفية (اللغة المصرية القديمة)، وأين اللغة الآشورية؟، وغيرها³، كلها بقيت أثراً بعد عين.

¹ كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت. 322 هـ)، عرضه بأصوله وعلق عليه حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، ط. 1، 1415 هـ- 1994 م، ص. 75.

² الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت. 395 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط. 1، 1418 هـ- 1997 م، ص. 13 وما بعدها.

³ الفصيحى لغة القرآن لأنور الجندي، الموسوعة الإسلامية العربية، ج. 10، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، ط. 1402 هـ- 1982 م، ص. 34.

المطلب الثاني: مساهمة القرآن الكريم في توحيد لهجات العرب:

جاء في كتاب "المقتضب في لهجات العرب"، أن اللغة العربية قد انقسمت منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات، واختصت كل قبيلة وكل جماعة متحدة في ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة من هذه اللهجات، وأدى الاحتكاك بينها وتبادل المنافع ومجاورة القبائل لبعضها، وتجمع الناس في مواسم الحج والأسواق والحروب وغيرها إلى صراع لغوي كُتب النصر فيه للهجة قريش¹.

فَكُونُ لغة قريش أفصح اللهجات العربية مما لا خلاف حوله، فقد ذهب ابن فارس إلى أنه قد "جمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة"².

فما هي العوامل التي ساهمت في هذا النصر للغة قريش حتى صارت لغة معيارية يُرجع إليها، وإليها يحتكم أهل اللغة؟

مما لا شك فيه أن الأسباب كثيرة، والعوامل شتى، لكن أهمها ثلاثة، وهي:

1- العامل اللغوي: لقد صنف علماء اللغة القبائل العربية إلى صنفين:

صنف لغتهم رديئة مستقبحة لا يُؤخذ عنهم³، وهي القبائل التي تقطن على الحدود من أطراف الجزيرة العربية، نظرا لاحتكاكها بالأمم المجاورة من غير العرب. وصنف فصيح اللغة كلغة قريش، وقيس، وتميم، وأسد، وهذيل⁴، لكن قريشا كانت أفصحها وأجودها، وهذا راجع على ما نقل السيوطي وابن فارس وغيرهما إلى أن العرب كانت تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية، وكانت قريش، مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخبروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفي كلامهم، فصاروا بذلك أفصح العرب، وحلّت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ⁵.

¹ ينظر المقتضب في لهجات العرب الدكتور محمد رياض، ط. 1417، هـ 1996م، ص. 91

² الصاحبي، ص. 28.

³ ينظر الرديء المذموم من اللغات في المزهري في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت. 911هـ) تحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1418هـ- 1998م، 175/1. والصاحبي في فقه اللغة العربية، ص. 29-31.

⁴ ينظر المقتضب في لهجات العرب، ص. 93-94.

⁵ ينظر المزهري في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت. 911هـ)، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1418هـ- 1998م، 175/1. والصاحبي، ص. 28.

2- العامل الديني: ويتجلى في أمرين:

الأول: أن الله تعالى اختار قريشا ليكونوا جيران بيته الحرام وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم، وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم. كما أن الله تعالى اختار منهم نبيه محمداً ﷺ، ولذلك كانت العرب تعرف لقريش فضلها وتسميها "أهل الله"¹.

الثاني: أن الله تعالى أنزل القرآن الكريم بلسان قريش الذي جمع أصفى كلام القبائل وأفصحها، ولذلك وجّه عثمان بن عفان رضي الله عنه اللجنة المكلفة بجمع القرآن بأن "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا ذلك"²، فيكون القرآن بذلك جامعاً لأفصح لغات العرب وأحسنها حتى قال عنه الراغب: "فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفرع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"³. فنزول القرآن الكريم أضفى على لغة قريش طابع القدسية، وساهم في جمع شمل العرب ووحدة كلمتهم، والقضاء على مواطن الخلاف اللغوي بينهم.

3- العامل الجغرافي:

ويتجلى في البعد عن بلاد العجم وعدم التأثر بلغاتهم، خلافاً للقبائل التي كانت على الأطراف، فقد كانت لغة قريش -كما قال ابن خلدون: "أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم... وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة المملكة بمخالطة الأعاجم"⁴، وقال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى "بالألفاظ والحروف": "كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عمّا في النفس. والذين عنهم نُقلت اللغة العربية،

¹ ينظر الصحابي، ص. 28. والمقتضب في لهجات العرب، ص. 91-92.

² أخرجه البخاري في: كتاب المناقب، باب نزل القرآن بلسان قريش رقم 3506.

³ المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت. 502هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، المقدمة 1/4.

⁴ مقدمة ابن خلدون للعلامة ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت. 808هـ)، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق، ط. 1، 1425هـ-2004م، 378/2.

أهمية القرآن الكريم في بقاء اللغة العربية وانتشارها

وهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد؛ فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف؛ ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجمل، فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم، ولا من جذام، لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر، لمجاورتهم للنبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزد عمان؛ لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف، لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب، قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم ...¹، فكان لبعد قريش عن الأعاجم دور في صيانة لغتها من فساد الألسن، إذ لم يدخل عليها من كئنة الأعاجم ما داخل على لغة القبائل الأخرى التي كانت على اتصال وثيق بهم فأصابها ألسنتها العجمة.

المطلب الثالث: مساهمة القرآن الكريم في نشأة علوم اللغة العربية:

بعد الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام، ودخول الناس في دين الله أفواجا، اختلط العرب بالعجم، فأصاب اللسان العربي العجمة، وشاع اللحن، وضعفت العربية، فبدأت الأصوات ترتفع والجهود تتكاثف لضبطها وتدوين علومها، يقول العلامة ابن خلدون، مبيّنا بداية فساد اللسان العربي: "فلما جاء الإسلام، وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين من العجم، والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقى إليها ممّا يغيرها؛ لجنوحها إليه باعتياد السمع. وخشي أهل الحلوم (العقول) منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد، فينغلق القرآن والحديث على الفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد"².

¹ المزهري في علوم اللغة وأنواعها 167-168. والافتتاح في أصول النحو لجلال الدين السيوطي (ت. 911هـ). تحقيق عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، ط. 2، 1427 هـ-2006 م، ص. 47. ودراسات في فقه اللغة، للدكتور صبحي إبراهيم الصالح (ت. 1407هـ)، دار العلم للملايين، ط. 1، 1379 هـ-1960 م، ص. 112.

² مقدمة ابن خلدون، 368/2.

ويذكر ابن خلدون عاملاً آخر زاد من ضعف اللسان العربي، وهو تملك الأعاجم لقيادة العالم الإسلامي، وكما هو معلوم فالناس تبع للسلطان وعلى دينه، فيقول: "ولما تملك العجم من الديلم والسلاجقة بعدهم بالمشرق، وزناتة والبربر بالمغرب، وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية، فسد اللسان العربي لذلك، وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حُفظ الدين، وصار ذلك مرجحاً لبقاء اللغة العربية المضرية من الشعر والكلام إلا قليلاً بالأمصار"¹.

فكما ترى فإن عناية المسلمين بالكتاب والسنة والخوف على انغلاق فهمهما هو الدافع الأساس لحماية اللغة العربية وصيانتها، وتأسيس علومها، ولذلك انبرى للقيام بهذه المهمة رجال عظماء، قعدوا قواعدهما، وأرسوا أسس علوم نحوها، وصرفها، وتركيبها، وبلاغتها، وأدائها، حتى صار كل علم قائم بذاته، له رجال متخصصون يُرجع إليهم، قال أبو حاتم: "ورأينا العلماء باللغة العربية قد كفوا النَّاسَ مؤونة هذا الشأن، وأحكموه إحكاماً بيّناً لما دَوَّنوه من أشعار الشعراء، وألَّفوه من المصنِّفات، ووصفوه من الصفات في كُلِّ ما قدرُوا عليه، ممَّا يحتاج النَّاسُ إلى استدراكه، حتَّى لعلَّه لم تفتُّمْ كلمةً غريبةً، ولا حرفٌ نادرٌ إلاَّ وقد ربطوه بأوثقِ رباطٍ، وعقلوه بأحكمِ عقالٍ، ورسموا في ذلك رسوماً، وعولوا في ذلك كلَّه على الشعر والاحتجاج به. وهذا للغة العرب خصوصاً، ليس هو لسائر لغات الأمم، وذلك كُله لشدة حاجة الناس إلى معرفة لغة العرب، ليصلوا به إلى ما ذكرنا من معاني القرآن والألفاظ الغريبة فيه، وفي أحاديث رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، والأئمة الماضين، وما يجيء في الشريعة من الأسامي في أصول الفرائض والسُّنن، ممَّا الجهل به نقص ظاهر على المرء المسلم، وشيئٌ فاضح على كُلِّ ذي دين ومروءة"².

فكان أول من وضع قواعد النحو هو أبو الأسود الدؤلي بإشارة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام³، قال أبو حاتم: "وقد كان لسان العرب فسَدَ حين تعرَّبت العجم، واختلطت اللغات ولَحَنَ أكثر الناس في كلامهم، فاستدرك ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام، فوضع للناس رسماً في النحو، فأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي من الدُّبُل، وهم رهط من كنانة بن

¹ نفسه، 58/2.

² كتاب الزينة، ص. 134.

³ ينظر مقدمة ابن خلدون، 369/2.

أهمية القرآن الكريم في بقاء اللغة العربية وانتشارها

خزيمة، فأسس العربية، وفتح بابها، ونهج سبيلها، ووضع فيها قياساً¹، ويروى أنه جاء أعرابي إلى علي عليه السلام فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين! كيف تقرأ هذه الحروف؟ لا يأكله إلا الخاطون، كلنا والله يخطو. قال: فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا أعرابي! لا يأكله إلا الخاطون. قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين! ما كان الله ليظلم عباده. ثم التفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي الأسود الدؤلي، فقال: إن الأعاجم قد دخلت في الدين كافة، فضع للناس شيئاً يستدلون به على صلاح ألسنتهم. ورسوم له الرفع والنصب والخفض². وقد روي في هذه القصة أخبار غير هذه.

ثم كتب الناس بعد أبي الأسود إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، فهذب الصناعة وكمل أبوابها، وألف كتاب العين، فكان أول معجم في العربية، ثم أخذ الصناعة عنه سيبويه، فكمّل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدها، ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار إماماً لكل ما كُتب فيها من بعده، ثم وضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاج كتاباً مختصراً للمتعلّمين يحذون فيها حذو الإمام في كتابه، ثم توالى التأليف والتصنيف في علوم اللغة بكل فروعها³.

وكل هذا الاهتمام ما كانت لتحظى به اللغة العربية لولا القرآن الكريم، وما يتطلبه من فهم معانيه، ومعرفة أوجه بيانه، ودلائل إعجازه، وكل ذلك متوقف على العلم باللغة العربية ودلالاتها، ولذلك كان تعلمها مما لا غناء لمسلم عنه، يقول ابن تيمية: "فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفة فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"⁴.

¹ كتاب الزينة، ص. 82-83.

² نفسه، ص. 84.

³ ينظر مقدمة ابن خلدون، 2/369 وما بعدها. وكتاب الزينة، ص. 84 وما بعدها.

⁴ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية الحنبلي (ت. 728هـ)، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، ط. 7، 1419هـ-1999م، 527/1.

المطلب الرابع: مساهمة القرآن الكريم في تطوير اللغة العربية وإدخال مفاهيم جديدة عليها:

إن الأصل في النص القرآني أنه نص لغوي، جاء بلسان عربي مبين، إلا أن نزول القرآن الكريم قد أحدث تغييراً في كثير من الألفاظ، فنقلها من المعاني العامة التي كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام إلى معاني لها دلالات ومفاهيم خاصة، سُمّيت عند علماء اللغة بالألفاظ الإسلامية¹، وعند علماء الأصول بالحقيقة الشرعية²، أو الأسماء الشرعية³.

ولما كانت «الألفاظ للمعاني أزيمة وعليها أدلة وإلها موصلة، وعلى المراد منها محصلة»⁴. فإن القرآن الكريم وضع جهازاً مفاهيمياً خاصاً، له مميزاته وخصائصه، إذ المفاهيم والمصطلحات هي "أدوات فهم الخطاب الشرعي المتضمنة خصائصه ومميزاته، وهي وسيلة الفقيه والمعلم والداعية لبيان الإسلام وأحكامه، لهذا كان الحرص على المصطلح الشرعي، فهما وتجديداً، بحثاً ودراسة، من الأمور التي يوليها المختصون عنايتهم، فالعلوم الشرعية قامت على أساس استيعاب المفاهيم الشرعية في مصطلحات تميزت بالفهم والتطبيق"⁵.

ويقصد بالألفاظ والأسماء الشرعية تلك "اللفظة التي استفيد من الشرع وضعها للمعنى سواء كان المعنى واللفظ مجهولين عند أهل اللغة أو كانا معلومين لكنهم لم يضعوا ذلك الاسم لذلك المعنى، أو كان أحدهما مجهولاً والآخر معلوماً"⁶، لكن عند إطلاق هذه الألفاظ في لسان الشرع وكلام الفقهاء، يجب حمله على الحقيقة الشرعية دون اللغوية⁷، فلفظ (الصلاة) بعد أن كان موضوعاً في اللغة ليبدل على الدعاء، أصبحت له دلالة شرعية ترمز

¹ ينظر المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 235/1. والصاحبي، ص. 44.

² ينظر المحصول لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي (ت. 606هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط. 3، 1418هـ - 1997م، 298/1. والإحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي الأمدي (ت. 631هـ)، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان، 27/1.

³ ينظر المستصفي لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت. 505هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط. 1، 1413هـ - 1993م، ص. 182. والإحكام في أصول الأحكام للأمدي، 35/1.

⁴ الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت. 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. 4، 313/1.

⁵ معجم مصطلحات العلوم الشرعية لمجموعة من المؤلفين، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ط. 2، 1439هـ - 2017م، 10-9/1.

⁶ المحصول للرازي، 298/1. والإحكام في أصول الأحكام للأمدي، 27/1.

⁷ روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت. 620هـ)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 2، 1423هـ - 2002م،

أهمية القرآن الكريم في بقاء اللغة العربية وانتشارها

لشعييرة معينة من شعائر الإسلام، ولفظ (النكاح) أصبحت حقيقته الشرعية عَقْدَ الزواج، بعد أن كان موضوعاً في اللغة للوطء، ومنها لفظ (الطلاق) الذي وُضِعَ شرعاً لحلِّ قيد الزوجية بدلاً من معناه اللغوي الذي يراد به حلُّ القيد مطلقاً، وغيرها من الألفاظ كالصوم والزكاة، والإيمان والكفر...

ولقد اهتم علماء اللغة بدراسة هذه المصطلحات والألفاظ التي تم نقلها من المعنى اللغوي الذي وضعت له إلى المعنى الشرعي الجديد، حتى إن ابن فارس قد عقد باباً وضح فيه هذا التغيير الذي يصيب البنية المفاهيمية لبعض الألفاظ سماه "باب الأسباب الإسلامية"، قال فيه: "كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم، وآدابهم، ونسائلكهم، وقربابيتهم، فلما جاء الله جلَّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونُسِخت ديانات، وأبطلت أمور، ونُقلت من اللُّغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع آخر، بزيادات زيدت، وشرائع شُرعت، وشرائط شُرِطت، فعَمِيَ الأخرُ الأوَّل، وشُغِلَ القوم - بعد المغاورات والتجارات، وتطلُّب الأرباح، والكدح للمعاش في رحلة الشتاء والصَّيف، وبعد الإغرام بالصيد والمعاقرة¹ والمياسرة² - بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزلاً من حكيم حميد، وبالتفقه في دين الله عز وجل، وحفظ سنن رسول الله ﷺ، مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام. فصار الذي نشأ عليه آبؤهم، ونُشئوا هم عليه كأن لم يكن، وحتى تكلموا في دقائق الفقه، وغوامض أبواب الموارث وغيرها من علم الشريعة، وتأويل الوحي بما دُونَ وحُفظ حتى الآن. فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق. وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق. ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً... وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء. وكذلك كانت لا تُعرف من الكفر إلا الغطاء

¹ المُعَاقِرَةُ: إِذْمَانُ شُرْبِ الخَمْرِ، قَالَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ: سُمِّيَتِ الخَمْرُ عُقَاراً لِأَنَّهَا تَغْفِرُ العَقْلَ. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: مُعَاقِرَةُ الشَّرَابِ: مُغَالَبَتُهُ، يَقُولُ: أَنَا أَقْوَى عَلَى شُرْبِهِ، فَيُعَالِبُهُ فَيَغْلِبُهُ، فَهَذِهِ المُعَاقِرَةُ. يَنْظُرُ تاج العروس من جواهر القاموس لمحمَّد بن محمَّد بن عبد الرزَّاق الحسيني، أَبِي الفَيْضِ، الملقَّب بِمِرْتَضَى، الرِّبِيدِيِّ (ت. 1205هـ)، تَحْقِيقَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ المَحْقِقِينَ، دار الهداية، 111/13.

² المياسرة: لعب الميسر، جاء في كتاب قصة الأدب في الحجاز في الحديث عن عادة الحجازيين في لعب الميسر، ولا سيما وقت الشدة والجذب "ومن طرقهم في المياسرة أن يجتمع عشرة من اللاعبين ويحضروا جزوراً يضمنون ثمناً لصاحبها، ويدفع الثمن بعد المياسرة الغارمون وحدهم". قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي لعبد الله عبد الجبار، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، ط. 1، 1400هـ-1980م، ص. 486.

والستر. فأما المنافع فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع...¹، ثم استرسل في ذكر الألفاظ التي نقلت من المعنى اللغوي العام إلى المعنى الشرعي الخاص.

فبإضافته ألفاظاً وأسماء جديدة إلى اللغة العربية يكون القرآن الكريم قد ساهم في إثراء وإغناء اللغة العربية، وإخراجها إلى فضاء أرحب وأوسع، وجعلها لغة قابلة للتطور والانفتاح على كل المجالات والعلوم والتخصصات، وقد تحدث علماء اللغة في أبواب الاشتقاق عن قابلية اللغة العربية للاشتقاق والقياس، وأن ذلك وسيلة لتوليد الألفاظ وتجديد الدلالات، قال ابن فارس: "أجمع أهل اللغة -إلا من شذ عنهم- أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض"².

المبحث الثاني: مساهمة القرآن الكريم في انتشار اللغة العربية وعولمتها:

المطلب الأول: مساهمة القرآن الكريم في عالمية اللغة العربية:

لم يكن للعرب قبل نزول القرآن شأن يذكر، ولم تكن لغتهم تتعدى جزيرة العرب، حتى بعث الله نبيه محمداً ﷺ بالقرآن الكريم رسالة للعالمين، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107]، وقال أيضاً: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: 28]، وفي هذا البيان القرآني تأكيد على حقيقة عالمية رسالة الإسلام، وتحديد واضح لمسئولية التبليغ، فقد بلغ عليه الصلاة والسلام رسالة ربه، وحمل أمانة التبليغ لأمته، فبدأ المسلمون يؤدون واجبهم في الدعوة إلى الله وتبليغ دعوة الإسلام إلى أهل الأرض لهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فأقبل الناس على الإسلام من كل فج عميق، فانتشر الإسلام وانتشرت معه اللغة العربية؛ لأن أول ما كان يتعلمه من دخل الإسلام من الأعاجم هو اللغة العربية، فيها يُقرأ القرآن وبها تُقام العبادات، فقد منع جمهور العلماء، من المالكية والشافعية والحنابلة، القراءة بترجمة القرآن في الصلاة، سواء أكان المصلي قادراً على العربية أم عاجزاً؛ لأن ترجمة القرآن ليست قرآناً³، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، يقول ابن تيمية عن اللغة العربية: "ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض،

¹ الصماحي، ص. 44-45.

² نفسه، ص. 35.

³ مباحث في علوم القرآن لمناع بن خليل القطان (ت. 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط. 3، 1421هـ-2000م، ص. 329.

أهمية القرآن الكريم في بقاء اللغة العربية وانتشارها
ولا يفهمان إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"¹. وهذا أصبح لزاماً
على كل مسلم أن يتعلم من اللغة العربية ما يقيم به دينه ويفهم خطاب ربه، فيمثلته
بالطريق الصحيح.

وهكذا، وبفضل القرآن الكريم أصبح للغة العربية مكانة وشأن بين الأمم، صارت قرينة
له، تبسط نفوذها حيث بسط نفوذه، فأقبل غير العرب على اللسان العربي تعليماً وتعلماً،
حتى أضحت أوطان أعجمية تنطق بالعربية. وغدت اللغة الأولى في العالم الإسلامي كله،
يقول نور الدين عتر: "وقد اتسع انتشار اللغة العربية جدا حتى تغلغت في الهند والصين
وأفغانستان، وحسبنا شاهداً على ذلك ما نعلمه من مشاهير العلماء من تلك البلاد مثل
البخاري ومسلم، والنسائي، وابن ماجه القزويني، وغيرهم وغيرهم"².

فالقرآن الكريم منح اللغة العربية قوة اقتحامية لا تضاهى، وانتشاراً واسعاً أدهش
المستشرقين، يقول "أرنست رينان": "من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب حل سرّه،
انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء، فبدأت فجأة في غاية
الكمال، سلسلة أي سلاسة، غنية أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أي
تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة، من أغرب
المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من
الرُّحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها،
وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم عُلمت ظهرت لنا في حلال الكمال إلى درجة أنها
لم تتغير أي تغيير يذكر، حتى إنه لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة،
ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى..."³.

ويرى الكاتب فيليب دي طرازي "أنه لولا القرآن لما انتشرت اللغة الفصحى في
الخافقين، ولولا القرآن لما أقبل الألوفاً من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتابتها ودرسها
والتعامل بها، ولولا القرآن لظل أهل كل بلد من البلدان التي انضمت للإسلام ينطقون
بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر"⁴.

¹ اقتضاء الصراط المستقيم، 527/1.

² القرآن الكريم والدراسات الأدبية لنور الدين عتر، جامعة دمشق، 1992م، ص. 359.

³ اللغة العربية بين حمايتها وخصومها لأنور الجندي، بيروت، مطبعة الرسالة، ص. 25.

⁴ الفصحى لغة القرآن، ص. 32.

ويقول بروكلمان إنه "بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا"¹.

ولم يقتصر القرآن الكريم على فتح الآفاق الجغرافية أمام اللغة العربية، بل تعداه إلى المستوى الفكري والحضاري، حيث جاء "ليقدم للبشرية رسالة ضخمة واسعة الآفاق في مختلف مجالات السياسة والاجتماع والتربية والاقتصاد والشريعة"².

وخلاصة القول أنه لولا القرآن الكريم لما انتشرت اللغة العربية في الآفاق، ولبقيت معزولة عن العالم في جزيرة العرب، ولما كانت لها هذه المكانة الأسى، حتى صارت في بُؤرة الاهتمام العالمي، إما حربا عليها من قِبَل حُسادها، أو عناية واهتماما من قِبَل أهلها وحُماها.

المطلب الثاني: علماء أعاجم تفوقوا في العربية:

لم يقتصر الاهتمام باللغة العربية وتعلّمها على العرب فحسب، بل تعداه إلى العجم أيضا، فما أن انتشر الإسلام في أقطار الأرض حتى أقبل أهلها على تعلم اللغة العربية إقبالا شديدا، حتى إن منهم من ترك لغته الأصلية للغة القرآن، يقول ابن خلدون: "وهجر الأمم لغاتهم و ألسنتهم في جميع الأمصار والممالك، وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ومدنهم، وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة"³.

ولقد تفرغ عدد غير قليل منهم لخدمة اللغة العربيّة وعلومها حتى رأينا من مصنّفاتهم في علوم العربية الشيء العجيب، كسيبويه، والجاحظ، وأبو حاتم الرازي، وأبو علي الفارسي، وأحمد بن فارس، وغيرهم كثير. فأفضّل ما أُلّف في النحو كتاب سيبويه، وهو فارسي الأصل، حتى قيل عنه "من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي"، وقيل "لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به من بعده"⁴. وما قيل عن سيبويه يُقال عن تلميذه الأخفش، وهو أيضا فارسي الأصل مثل شيخه، فقد كان إماما في اللغة، وعنه أخذ أهل البصرة وأهل الكوفة كتاب سيبويه، وله المؤلفات الكثيرة في هذا الباب؛ ككتاب المسائل الكبير، والمسائل الصغير، وكتاب الأوسط في النحو، وكتاب المقاييس، وكتاب الاشتقاق، وغيرها⁵. ولا ننس الكسائي إمام مدرسة الكوفة، وابن فارس

¹ نفسه، ص. 305.

² نفسه، ص. 38.

³ مقدمة ابن خلدون، 57/2.

⁴ ينظر المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط. 7، ص. 59-60.

⁵ نفسه، ص. 94.

مؤلف كتاب "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، وأبو علي الفارسي، وتلميذه ابن جني صاحب الخصائص، وكلهم أعاجم بلغوا مرتبة الإمامة في العربية وعلومها.

ولم يكن دافعهم للإقبال على اللغة العربية وحفظها سوى حاجتهم لفهم القرآن والسنة وأحكام دينهم، إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فمن هذا الباب أقبلوا على العربية تعليماً وتعلماً، وليس لنفوذها السياسي أو مكانتها الاقتصادية، فقد كانت الجزيرة العربية على هامش الحضارات كما نعلم، وهذا ما شهد به أبو حاتم حين قال: "ولولا ما بالناس من الحاجة إلى معرفة لغة العرب، والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، والصحابة، والتابعين، والأئمة الماضين، لبطل الشعر، وانقرض ذكر الشعراء، ولعقّى الدهر على آثارهم، ونسي الناس أيامهم، ولكن الحاجة بالمسلمين ماسة إلى تعلم اللغة العربية، ومعاني الألفاظ الغريبة في القرآن والحديث، والأحكام والسُنن، إذ كان الإسلام قد ظهر - بحمد الله - في جميع أقطار الأرض، وأكثر أهل الإسلام من الأمم هم عجمٌ، وقد دعتهم الضرورة إلى تعلم لغة العرب، إذ كانت الأحكام والسُنن مُبَيَّنَةً بلسان العرب"¹. وقال أيضاً: "أقبلت الأمم كلها إلى العربية يتعلمونها رغبة فيها، وحرصاً عليها، ومحبة لها وفضلاً أبانه الله فيها للناس، ليبين لهم فضل محمد ﷺ على سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وتثبت نبوته عندهم، وتؤكد الحجة عليهم، وليظهر دين الإسلام على كلِّ دين"².

فقد ارتبط هؤلاء الأعلام باللغة العربية ارتباطهم بالإسلام وارتباطهم بالقرآن والسنة، حتى قال قائلهم: "الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية وجبلي على الغضب للعرب والعصبية، وأبي لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم، وأمتاز وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وانحاز، وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم إلا الرشق بالأسنة اللاعنين والمشق بأسنة الطاعنين"³. وبذلك نخلص إلى أن القرآن الكريم وعلوم الدين كانت هي الباعث الرئيس على إقبال الأعاجم على اللغة العربية وعلومها، ولولاه لما تعدى سلطانها جزيرة العرب.

¹ كتاب الزينة، ص. 123.

² نفسه، ص. 75.

³ المفصل في صنعة الإعراب لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (ت. 538هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط. 1، 1993م، ص. 17.

المطلب الثالث: مساهمة القرآن في مواكبة اللغة العربية للعلوم الكونية (الطب، الفلك، الرياضيات، الكيمياء...):

ظلت اللغة العربية رداً من الزمن مهمشة في الجزيرة العربية على هامش حضارتي الروم وفارس، ولم تكن لغة حضارة وعلم، حتى اختارها الله تعالى لرسالته، وجعلها لغة كتابه، فرفعها مكاناً علياً بين لغات العالم، فبسط أصحابها نفوذهم في العالم، وصارت لهم حضارة، فأخذت العربية تأخذ طريقها في سماء العلم والمعرفة، وواكبت متطلبات العصور وتطوراتها، وتأسست مدارس وجامعات في الأندلس وغيرها، كانت قبلة للطلاب، من العرب وغيرهم، من كل أنحاء العالم، تُخرج العلماء في مختلف التخصصات والحقول، وصارت للعرب والمسلمين حضارة كبيرة يضرب بها المثل، يقول المستشرق ابري:

"إن اللغة العربية لغة حية، وحضارة العرب هي حضارة مستمرة، فهي حضارة الأمتس واليوم والغد، وعن طريق العرب عرفت أوروبا الحضارة، فقد كانت أوروبا تغط في سباتها العميق حين كان العرب يصنعون الحضارات، وكانت جامعاتهم تُخرج كثيراً من العلماء في حقل الآداب والعلوم والفنون والطب والهندسة"¹.

وبإطلاء سريعة على فهرست ابن النديم سندرك حجم ما أُلف باللغة العربية في مختلف الحقول العلمية؛ من فلسفة وفلك ورياضيات، وطبيعات، وكيمياء، وطب، وغيرها. وقد تحدث المنصفون الغربيون، من مستشرقين وغيرهم، عن الحضارة العربية الإسلامية وعن جامعاتها وعلمائها، والمطلع على كتب "شمس العرب تسطع على الغرب" للمستشرق الألمانية زيغريد هونكه²، و"قصة حضارة" لول وايريل ديورانت³، و"حضارة العرب" لغوستاف لوبون⁴، يدرك بجلاء مدى تأثير الحضارة العربية والإسلامية في الحضارة الغربية، حتى قال هذا الأخير "إن أوروبا مدينة للعرب بحضارتها"⁵. ولأدركنا ما وصلت إليه الحضارة العربية والإسلامية من أوج ورفق في مختلف المجالات.

1 الفصحي لغة القرآن، ص. 302.

² ينظر "شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبا" للمستشرق الألمانية زيغريد هونكه، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، وراجعوه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، دار الجيل، بيروت، دار الأفاق الجديدة بيروت، ط. 8، 1413هـ-1993م، ص. 134 وما بعدها.

³ ينظر "قصة حضارة" لول وايريل ديورانت، ترجمة محمد بدران، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الجزء الثاني من المجلد 13، ص. 180 وما بعدها.

⁴ ينظر "حضارة العرب" لغوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013م

⁵ حضارة العرب، ص. 586.

أهمية القرآن الكريم في بقاء اللغة العربية وانتشارها

واليوم، وبعد صمودها لمدة أربعة عشر قرناً، أصبح بعض أبناء جلدتنا يشكك في صلاحية اللغة العربية ومواكبتها للعلم، وأصبح يتساءل إن كانت تصلح أن تكون لغة للعلوم أم لا؟ ويطلب بتدريس المواد العلمية بغير اللغة العربية؟.

إن اللغة العربية اليوم تواجه تحديات كبيرة، ليس لغيب فيها أو نقص يعترها، وإنما لشعور أصحابها بالانهزام الذاتي والانهيار بالغالب¹، حتى رأينا بعض العرب يخجل من التحدث بلغته ويحاول أن يغطي عن النقص الذي يشعر به بالتحدث بلغة "الأسياذ"، يصدق فيهم ما قاله الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله: "فأما إذا كان منه التراخي والإهمال وترك اللغة للطبيعة السوقية، وإصغار أمرها، وتهوين خطرها، وإيثار غيرها بالحب والإكبار؛ فهذا شعب خادم لا مخدوم، تابع لا متبوع، ضعيف عن تكاليف السيادة، لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه، مجتزئ ببعض حقه، مكتفٍ بضرورات العيش، يوضع لحكمه القانون الذي أكثره للحرمان وأقله للفائدة التي هي كالحرمان... وما ذُلت لغة شعب إلا ذُلَّ، ولا انحطَّت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار"².

إن السؤال الذي يجب أن نطرحه ليس هو: هل اللغة العربية تصلح أن تكون لغة للعلوم أم لا؟ ولكن السؤال المشروع هو كيف نطور لغتنا لتصبح لغة علمية تواكب العصر وتطوراته؟ ف"ليس هناك لغة مهما كانت ضعيفة لا تقدر على استيعاب العلوم والتقنيات. وقد أحيى الإسرائيليون لغة توراتية قديمة، لم يكن أحد يتحدثها، وصارت لغة علمية وتقنية"³.

¹ تحدث ابن خلدون في مقدمته عن نحلة الغالب، وتبعية المغلوب للغالب دائماً، وعقد لذلك فصلاً خاصاً، جاء فيه "في أن المغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزينه، ونحلته، وسائر أحواله وعوائده. والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه...". مقدمة ابن خلدون، 283/1.

² وحي القلم لمصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي (ت. 1356هـ)، دار الكتب العلمية، ط. 1، 1421هـ-2000م، 27/3.

³ حوارات من عصر الحرب الأهلية لبرهان غليون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. 1، 1995م، ص. 278.

فالعلوم، التي تعتمد على الحس والتجربة، مشترك إنساني يسهم فيه الجميع، فمن اتخذ أسبابه وصل، فليست هناك حضارة ذكية؛ هي كل شيء، فيها التقدم والعلم والرفق، وأخرى غبية؛ ليس فيها شيء سوى التخلف والجهل والهمجية، كما يدعي بعض الغربيين، بل حقيقة الأمر أن من اتبع سنة الأسباب وصل، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 140]، فإذا كان الغرب اليوم متقدما في هذه العلوم، فقد سبقه المسلمون إلى ذلك، بل منهم نهل ما ينعم فيه اليوم، بشهادة المنصفين منهم كما رأينا.

لكن لا عجب إذا عرف سبب هذه الهجمة المسعورة على لغة القرآن، فالأمة اليوم لا تملك إرادتها، ولا تملك قرارها، فهي لا تزال تابعة للمستعمر وأذنابه، وإن أكبر عقبة في طريقهم هي كيف يفصلون الأمة عن لغتها وقرآنها، فالأمة تحيا بحياة لغتها، وتموت بموتها، ولطالما كانت اللغة العربية للمستعمر بالمرصاد، وهذا بشهادة غير العرب، يقول الفرنسي جاك بيرك: "إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا. إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملا قويا في بقاء الشعوب العربية"¹.

لهذا كله كان الهدف الأول للمستعمر هو فصل الأمة عن لغتها وقرآنها؛ لأنهما مصدرا قوتها ووحدتها، ولذلك "كانت الخطة ولا تزال موضوعة على أساس فصم هذه العلاقة، وقطع هذه الصلة، وعزل القرآن عن اللغة العربية، ودفع اللغة العربية إلى الطريق الذي سارت فيه اللغات من قبل أن تتطور وتتغير ويجرفها تيار العصر ودعوات الهدم حتى ينتهي أمرها إلى مجموعة من اللهجات، فالخطر كله من لغة القرآن، والهدف كله هو الفصل بين اللغة والقرآن"².

لكنهم كما فشلوا في السابق في فصل الأمة عن لغتها وقرآنها، فسيفشلون مرة أخرى ويولون الدبر، خائبين خاسرين، وما على الأمة إلا أن تستيقظ من سباتها، وتجمع أمرها وكلمتها، لتعيد عزتها وحضارتها وما ضاع منها، وما ذلك على الله بعزيز.

¹ الفصحى لغة القرآن، ص. 304.

² نفسه، ص. 41.

المطلب الرابع: مساهمة القرآن الكريم في انفتاح اللغة العربية على اللغات الأخرى:

لقد كان لانتشار الإسلام، ودخول الأعاجم في دين الله، واحتكاك العرب بالعجم أثر في دخول الألفاظ الأعجمية إلى العربية، وانفتاح العربية على اللغات الأخرى، وقد طُرحت هذه القضية منذ الزمن الأول لنزول القرآن، حيث أُثيرت مسألة وقوع ألفاظ ومصطلحات أعجمية في القرآن الكريم، وهي مسألة اختلف فيها أهل العلم منذ العصر الأول للإسلام، وقد خص الإمام السيوطي المسألة بمؤلف خاص أشار إليه في كتاب الإتيان بقوله "قد أفردت في هذا النوع كتاباً سميته (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب) وأنا أخص هنا فوائده"¹، وقد طبع هذا الكتاب بعد أن حققه الدكتور التهامي الراجي رحمه الله²، وقد ذكر السيوطي فيه اختلاف الأئمة في الموضوع.

وأنا أذكر هنا ما وقع من خلاف في المسألة، مما ذكره السيوطي وغيره، فأقول إن العلماء قد اختلفوا في وقوع لغات العجم في القرآن الكريم على ثلاثة آراء:
الرأي الأول: القائلون بوقوع ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم:

فقد روي عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف كثيرة إنها بلغات العجم، منها قوله: طه، واليم، والطور، والربانيون، فيقال: إنها بالسريانية. والصراط، والقسطاس، والفردوس، يقال: إنها بالرومية. ومشكاة، وكفلين، يقال: إنها بالحشبية. وهيت لك، يقال: إنها بالحوارية³.

وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزمر:28]، بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيًا، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية، وعن قوله تعالى: ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت:44]، بأن المعنى من السياق: "أكلام أعجمي ومخاطب عربي"⁴.

¹ الإتيان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت. 911هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. 1394هـ/1974م، 2/125.

² المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت. 911هـ)، تحقيق التهامي الراجي الهاشمي، مطبعة فضالة، بإشراف صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

³ ينظر المزهري 1/211-212. وكتاب الزينة، ص. 141 وما بعدها. والصاحبي، ص. 32.

⁴ الإتيان في علوم القرآن، 2/126.

وقالوا: إن العرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم كانت لهم بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم، فعلمت من لغاتهم ألفاظا غيّرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن¹.

ويشهد لهذا الرأي ما نقله السيوطي عن أبي حيان في الارتشاف من أن "الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام"، وذكر في القسم الأول: "ما غيرته العرب وألحقته بكلامها، فحكّم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد والوزن حكّم أبنية الأسماء العربية الوضع"².

واختار السيوطي هذا الرأي وقال إن "أقوى ما رأيت للوقوع - وهو اختياري - ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان وروي مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه"، والتقط من ذلك إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن وهي: أنه حوى علوم الأولين والآخرين، ونبأ كل شيء، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء، فاختر له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب.

ونقل عن ابن النقيب أن من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم، ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير.

وعضد رأيه هذا أيضا بأن النبي ﷺ مُرسل إلى كل أمة، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِبَلْسَانَ قَوْمِهِ ۚ ﴾ [إبراهيم:4]، فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وإن كان أصله بلغة قومه هو³. ليختم اختياره بسرد الألفاظ المعربة الواردة في القرآن مرتبة على حروف المعجم، وقد بلغت أكثر من مائة لفظة⁴.

¹ المزهر 1/210. والاتقان في علوم القرآن، 2/125-126.

² المزهر، 1/212.

³ ينظر الإتقان في علوم القرآن، 2/126-127.

⁴ نفسه، 2/129 وما بعدها.

الرأي الثاني: القائلون بعدم وقوع المعرب في القرآن:

في مقابل الرأي الأول، ذهب آخرون؛ منهم الإمام الشافعي، وابن جرير، وأبو عبيدة، والقاضي أبو بكر، وابن فارس، إلى عدم وقوعه فيه لقوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ؕ أَلَيْسَ لَنَا بِعَرَبِيٍّ كَذَّابِينَ﴾ وقد شدد الشافعي النكير على القائل بذلك. وقال أبو عبيدة: "إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ومن زعم أن (لدا) بالنبطية، فقد أكبر القول¹.

وقال ابن فارس: "لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها"².

وتأول ابن جرير ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك، بأنه قد اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد³.

وذهب الإمام فخر الدين الرازي وأتباعه إلى أن غاية ما في الأمر: أَنَّ وَضَعَ العرب فيها وافق لغة أخرى كالصابون والتنور، فإن اللغات فيها متفقة"⁴. وبهذا التأويل قال الثعالبي في فقه اللغة، حيث عقد لذلك فصلاً "في أسماء قائمة في لغتي العرب والفرس على لفظ واحد"⁵.

في حين ذهب آخرون في تأويل هذا الاتفاق إلى أن كل هذه الألفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متسعة جداً، ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلالة، وقد خفي على ابن عباس معنى "فاطر" و"فاتح". وقال أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك: إنما وُجِدَتْ هذه الألفاظ في لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً، ويجوز أن يكونوا سبقوا إلى هذه الألفاظ⁶.

¹ ينظر المزهري، 210/1+الاتقان 125/2.

² الصاحبي، ص. 33.

³ ينظر المزهري، 210/1. والاتقان 125/2.

⁴ ينظر المزهري، 210/1.

⁵ فقه اللغة وسر العربية لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبي منصور الثعالبي (ت. 429هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، إحياء

التراث العربي، ط. 1، 1422هـ-2002م، ص. 208.

⁶ ينظر الاتقان في علوم القرآن، 126/2.

الرأي الثالث: القائلون بالجمع بين الرأيين:

وذهب إلى هذا الرأي أبو عبيد القاسم بن سلام، فقال، بعد أن حكى الخلاف في المسألة: "والصواب عندي مذهبٌ فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فصادق"¹. ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون، وألّف الجواليقي في ذلك كتابه "المعرب"، وقال إن هذه الألفاظ عجمية باعتبار الأصل، عربية باعتبار الحال، ويطلق على المعرب دخيل². وهو رأي حسن يدل على انفتاح اللغة العربية على اللغات الأخرى والتفاعل معها، والتأثر بها، وعلى أعلى مستوى، حيث وقع ذلك في القرآن الكريم مرجع الأمة ومصدرها الأول، ولم يقف الأمر عند حد التأثر بها، بل والتأثير فيها أيضاً، فهناك بعض اللغات التي غير الإسلام من بنيتها "وأثر في تركيبها وكيانها، وصاغها من جديد، ومنها اللغة الفارسية التي تحولت إلى اللغة الفارسية الجديدة، وأصبح نصف معجمها وأساليبها وأوزانها مما جاءها من العربية حتى صارت لساناً آخر غير اللسان الجاهلي، كذلك الأمر في لغة الترك والأكراد وسائر اللغات في آسيا وإفريقيا، فقد فقدت كل لغة من هذه اللغات أكثر خصائصها الجاهلية، وألّزمت نفسها الدخول في عربية القرآن"³.

وقد أضاف هذا الانفتاح على اللغات الأخرى علماً مستقلاً بذاته إلى اللغة العربية يسمى "المعرب"، اعتنى فيه العلماء بالمصطلحات المنقولة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، ووضعوا فيه مقاييس وضوابط للنقل والتعريب⁴، وقد رأينا كيف قسم أبو حيان "الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام: قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها فحكّم أبنيتها في اعتبار الأصلي والزائد والوزن حكّم أبنية الأسماء العربية الوضّوع... وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها، فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله... وقسم تركوه غير مُغيّر. فما لم

¹ ينظر الاتقان في علوم القرآن، 2/129. والمزه، 1/211-212. وكتاب الزينة، ص. 141 وما بعدها. والصاحبي، ص. 32-33.

² ينظر المزه 1/212. والاتقان في علوم القرآن، 2/129.

³ الفصيحى لغة القرآن، ص. 34-35.

⁴ ينظر المصطلح خيار لغوي وسمّة... حضارية، د. سعيد شبار، سلسلة كتاب الأمة، ع. 78، ط. 1، رجب 1421هـ-أكتوبر 2000م، ص. 77.

أهمية القرآن الكريم في بقاء اللغة العربية وانتشارها
يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعد منها، وما ألحقوه بها عد منها¹. وهي دعوة إلى الانفتاح على
لغات العصر، والاستفادة منها، والتواصل مع أهلها، خاصة ونحن حَمَلَةُ رسالة إلى العالمين،
لكن دون انسلاخٍ من هُويَتنا أو تخلٍّ عن لغتنا.

خاتمة:

في آخر هذه الدراسة أفف مع أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

فمن أهم النتائج:

- أن القرآن الكريم كان له الأثر الكبير في اللغة العربية، فقد ساهم في بقائها وحفظها، وتوحيد لهجاتها، كما ساهم في انتشارها وجعلها لغة عالمية، فضلا عن دوره في تنميتها وإغنائها.
- أن عناية المسلمين بالقرآن الكريم والخوف على انغلاق فهمه على الناس كان هو الدافع الأساس لحماية اللغة العربية وصيانتها، وتأسيس علومها، وتقعيد قواعدها، وإرساء أسس علوم نحوها، وصرفها، وتركيبها، وبلاغتها، وأدائها، حتى صار كل علم قائم بذاته.
- أن القرآن الكريم قد أحدث تغييرا في كثير من الألفاظ، فنقلها من المعاني العامة التي كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام إلى معاني لها دلالات ومفاهيم شرعية خاصة، فأسس له جهازا مفاهيميا خاصا به، له مميزاته وخصائصه.
- أن حاجة الناس إلى فهم القرآن الكريم ومعرفة أحكام دينهم كانت هي الباعث الأسس لإقبال الأعاجم على اللغة العربية تعليما وتعلما، حتى صار منهم علماء يرجع إليهم في اللغة العربية كسيبويه وابن فارس والأخفش وغيرهم، ولولا القرآن لما تعدى سلطان العربية جزير العرب.
- أن القرآن الكريم ساهم في إخراج اللغة العربية من التهميش لتصير لغة علم ومعرفة، فما إن اختارها الله تعالى لرسالته، وجعلها لغة كتابه، حتى أخذت طريقها في سماء العلم والمعرفة، فتأسست مدارس وجامعات كانت قبلة لطلاب العلم من كل أنحاء العالم، تخرّج منها العلماء في مختلف التخصصات والحقول.

¹ المزهر، 212/1.

- أن انتشار الإسلام، ودخول الأعاجم في دين الله تعالى، واحتكاك العرب بالعجم كان له أثر كبير في دخول الألفاظ الأعجمية إلى العربية. وانفتاح العربية على اللغات الأخرى، والتأثر بها، والتأثير فيها، وكان ذلك على أعلى مستوى، وهو القرآن الكريم مرجع الأمة ومصدرها الأول.

ومن أهم التوصيات التي لاحت لي في آخر هذه الدراسة:

- أنه يجب أن تكون اللغة العربية هي لغة التواصل بين دول العالم الإسلامي، فمن غير المقبول أن تكون لغة ثالثة هي لغة التواصل بين المسلمين، فالاهتمام باللغة العربية والرفع من شأنها هو أول لبنة في بناء الأمة الإسلامية وربط جسور التواصل بينها في أفق وحدتها.

- كما يجب أن تكون اللغة العربية هي لغة تدريس العلوم، فلا تقدم لأمة إلا بلغتها الأم، فليست العربية أقل شأنًا من التركية والفارسية والعبرية التي يدرّس بها أصحابها، وقد أنجبت الأمة قديما علماء كبارا، وأنتجت من العلم ما استفادت منه الإنسانية، وكلّ ذلك كان باللغة العربية، وما تعيشه الأمة اليوم من انحطاط ليس مرده إلى اللغة العربية بقدر ما يرجع إلى سياسة حكوماتها الفاقدة للإرادة، ولو اتخذت هذه الحكومات العربية قرارا حاسما يقضي بتعليم العلوم باللغة العربية لكان لها شأن آخر بين لغات العالم.

- أنه يجب العناية باللغة العربية وطرق تدريسها، في المدارس والجامعات، وتوفير عناصر الرعاية والحماية اللازمة لها، وبمنهج يُحبّبها للطلاب، وعلى السلطات المعنية في البلاد العربية أن تشجّع من القوانين ما يضمن صيانتها، ويُرسّخها في نفوس الناشئة منذ صغرهم ونعومة أظافرهم، فحياة الأمة بحياة لغتها.

- أنه يطلب من الدول والحكومات العربية أن تفتح مراكز ثقافية ومعاهد لتعليم العربية لغير الناطقين بالعربية في مختلف بلدان العالم، ولا سيما في الأقطار الإسلامية غير العربية، وإعداد المتخصصين الأكفاء لذلك، وتوفير ما يحتاجونه من الكتب ميسرة وغيرها. أنه يجب الحذر من تشجيع الكتابة باللهاجات العامية، فينشغل كل قطر بلهجته، وتسهم هذه اللهجات في التباعد والتدابير بين أبناء الأمة الواحدة... فاللغة العربية الفصحى مصدر وحدة العالم العربي في التعبير والتواصل، وإلا سنحتاج في يوم من الأيام إلى مترجمين بين أبناء العروبة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

- 01- ابن تيمية، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحنبلي (ت. 728هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، ط. 7، بيروت، دار عالم الكتب، 1419هـ-1999م.
- 02- ابن خلدون، العلامة ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت. 808هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دمشق، دار يعرب، 1425هـ-2004م.
- 03- ابن قدامة، أبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت. 620هـ)، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ط. 2، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 1423هـ-2002م.
- 04- الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت. 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، دون بيانات النشر.
- 05- الأمدی، أبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي، (ت. 631هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، بيروت-دمشق-لبنان، المكتب الإسلامي، د.ت.
- 06- بن جني، أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت. 392هـ)، الخصائص، ط. 4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
- 07- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبي منصور (ت. 429هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، 1422هـ-2002م.
- 08- الجندي، أنور، اللغة العربية بين حماها وخصومها، بيروت، مطبعة الرسالة، د.ت.
- 09- ديورانت، ول وايرنل، قصة حضارة، ترجمة: محمد بدران، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- 10- الرازي، أبي حاتم أحمد بن حمدان (ت. 322هـ)، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، عرضه بأصوله وعلق عليه حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، 1415هـ-1994م.
- 11- الرازي، أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي (ت. 606هـ)، المحصول دراسة وتحقيق: د. طه جابر فياض العلواني، ط. 3، مؤسسة الرسالة، 1418هـ-1997م.
- 12- الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبي الحسين (ت. 395هـ)، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسانئها وسنن العرب في كلامها، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ-1997م.
- 13- الرافي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق (ت. 1356هـ)، وحي القلم، دار الكتب العلمية، 1421هـ-2000م.
- 14- رياض، د. محمد، المقتضب في لهجات العرب، ط. 1، 1417هـ-1996م.
- 15- الرّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمترضى، الرّبيدي (ت. 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.
- 16- الزمخشري، أبي القاسم محمود بن عمرو جار الله (ت. 538هـ)، المفصل في صنعة الإعراب تحقيق: د. علي بو ملحم، بيروت، مكتبة الهلال، بيروت، 1993م.
- 17- السيوطي، جلال الدين (ت. 911هـ)، الاقتراح في أصول النحو، تحقيق عبد الحكيم عطية، ط. 2، دار البيروتي، 1427هـ-2006م.

- 18- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. 1394هـ/1974م.
- 19- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت.911هـ)، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق التهامي الراجي الهاشمي، مطبعة فضالة، بإشراف صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.
- 20- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت. 911هـ)، الزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ-1998م.
- 21- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت. 911هـ)، الردء المذموم من اللغات في الزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ-1998م.
- 22- الصالح، د. صبيح إبراهيم (ت. 1407هـ)، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، 1379هـ- 1960م.
- 23- ضيف، د. شوقي، المدارس النحوية، ط. 7، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- 24- عبد الجبار، عبد الله، قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، الكليات الأزهرية، 1400هـ-1980م.
- 25- عتر، نور الدين، القرآن الكريم والدراسات الأدبية، جامعة دمشق، 1992م.
- 26- الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت. 505هـ)، المستصفي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، 1413هـ-1993م.
- 27- غليون، برهان، حوارات من عصر الحرب الأهلية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1995م.
- 28- القطان، مناع بن خليل (ت. 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، ط. 3، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1421هـ-2000م.
- 29- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013م.
- 30- هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبا، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، وراجعته ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، ط. 8، بيروت، دار الجيل- دار الأفاق الجديدة، 1413هـ-1993م.
- 31- معجم مصطلحات العلوم الشرعية لمجموعة من المؤلفين، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ط. 2، 1439هـ-2017م.
- 32- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، الموسوعة الإسلامية العربية، ج. 10، دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة، بيروت، ط. 1402هـ-1982م.
- 33- شبار، د. سعيد، المصطلح خيار لغوي وسمة.. حضارية، سلسلة كتاب الأمة، ع. 78، ط. 1، رجب 1421هـ- أكتوبر 2000م.